الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

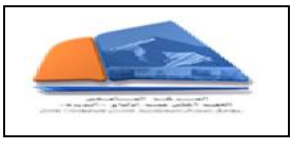

المركز الجامعي
العقيد أكلي محند أولحاج – البويرة
معهد الآداب و اللغات

هندسة المكان في النص الروائي العربي الحديث
رواية " سمرقند " لأمين معلوف أنموذجا

مذكرة التخرج لنيل شهادة ليسانس في اللغة العربية و آدابها

إعداد الطالبتين :
- خالد فضيلة
- زينافي ججيقة

إشراف الأستاذ :
عمرو رابحي

لسنة الجامعية 2011 / 2012

شكـــر وتقديـــر

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا على أداء هذا الواجب ووفقنا إلى انجاز هذا العمل

نتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد على انجاز هذا العمل وفي تذليل ما واجهناه من صعوبات، ونخص بالذكر الأستاذ المشرف عمرو رابحي الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه القيمة التي كانت عونا لنا في إتمام هذا البحث .

ولا يفوتنا أن نشكر كل عمال المكتبة دون استثناء .

إهداء

بسم الله الذي لا اله إلا هو خالق الحب و النوى و منزل الماء من السماء و الصلاة و السلام على خير الأنام سيد العالمين " محمد عليه أزكى السلام "

إلى التي طيبت قلبها دق الخيال ، التي ربت و سهرت و تعبت و حملت ما تحمله الجبال ، حتى سماحتها و حنانها ، جعلت الجنة تحت أقدامها ، هذا ما قال فيها " أمي ثم أمي إلى آخر يوم في عمري "

إلى من كان شمعة يحترق لينير لي دربي ليوصلني إلى بر الأمان " أبي الغالي " تاج راسي .

إلى الشمعة الساطعة و البركة الدائمة جدي الغالي و جدتي العزيزة

إلى من تقاسم معي دفء الرحمة و ظلمته لتعانق روحها روحي بالمحبة إخوتي و أخواتي

إلى زوجات أخوتي و أخواتي و أزواج أخواتي دون أن أنسى أولادهم

إلى من تقاسمت معي مهمة البحث و مشقته فضيلة

إلى أحلى و اغلى الصديقات الحبيبات : نورة ن كريمة ، ججقة ، صبرينه ، فاطمة ، دليلة ، رقية ، فضيلة ، حجيلة ، سعيدة

إلى كل من يكن لي المحبة و الخير اهدي ثمرة جهدي .

ججيقة

إهداء

الحمد لله الذي وفقنا لهذا ولم نكن لنصل إليه لولا فضل الله علينا
أهدي هذا العمل إلى :

من ربتني وأنارت دربي وأعانتني بالصلوات و الدعاء
إلى التي كانت و ما تزال دائما شلالا دافقا من الحنان
حبي الأول و الأزل الذي لا ولن يضاهيه آخر، ولا يوفي حقها إلا اسمها ثلاثا أمي
أمي أمي

إلى الذي كان سندا لي طوال مشوار الدراسة
إلى أبي الغالي الذي شقى وتعب من اجل إسعادي و تعليمي

إلى سندي في حياتي إخوتي وأخواتي
نبيلة ، حفيظة ، توفيق ، بن جدو ، صالح ، سمير

والى الكتكوتة الصغيرة آية

إلى جدتي حفظها الله و كل أفراد عائلتي صغيرا و كبيرا من عم وخال

الى أطيب من عرفت و اشرف وأنبل فيمن عاشرت : ججيقة و رقية

الى جميع أساتذة قسم معهد الاداب و اللغات

الى كل طلبة السنة الرابعة دفعة 2012
وخاصة طلبة الفوج الثالث

فضيلة

مقدمة

تعتبر الرواية من أهم الفنون الأدبية التي عرفت رواجا كبيرا في عصرنا هذا ، فهي تعبر عن آلام الإنسان و أماله ، و عن واقع المجتمعات لدرجة أصبحت تعرف بديوان العرب ، و هي بنية معقدة قائمة على عدة عناصر متكاملة من شخصيات و زمان و مكان و سرد و وصف و حوار .

ولكل واحدة من تلك العناصر أهمية قصوى لدرجة لا يمكن الاستغناء عنه ، فللمكان الروائي دور حيوي و بارز حيث ارتفع من مجرد كونه إطارا جغرافيا للأحداث إلى اعتباره بطلا ينطلق من الكاتب لبلورة أفكاره ، و تقديم وجهات نظره ، و نظرا لهذه الأهمية البالغة للمكان ، ارتأينا أن يكون موضوع دراستنا " هندسة المكان في النص الروائي العربي الحديث في رواية " سمرقند " .

واختيارنا لأمين معلوف بالذات لأنه الأكثر كتابة في الرواية و المكان ، و لم يحظى بدراسات كبيرة و مركزة خاصة منها التي تعنى بعنصر المكان و بالأخص هذه الرواية .

كما يعمل معلوف دائما على استثمار المكان كمكون روائي أساسي ، ثم اختيار رواية سمرقند لأن أمين معلوف يراهن فيها على استثمار المكان و توظيفه توظيفا استثنائيا أو متميزا بالإضافة إلى مبرر ذاتي نتيجة اطلاع خاص بأعماله .

ونبني هذا البحث على الإشكالية التالية : ما هو مفهوم المكان الروائي ؟ و ماهي أبعاده ؟ وتتم الإجابة عن هذه الإشكالية و عن هذه الفرضيات وفقا للحظة الآتية : مقدمة ، تمهيد و فصلين و خاتمة فكانت المقدمة عرضا لإشكالية البحث و المنهج المتبع ، و خصصنا التمهيد لتقديم الروائي و الرواية .

أما الفصل الأول المعنون : المكان الروائي قد تناولنا فيه مفهوم : مفهوم المكان الروائي ثم فصلنا في أنواع المكان و مختلف أبعاده في العمل .

وجعلنا الفصل الثاني تطبيقا لما جاء في الفصل الأول ، فعرفنا المكان في رواية "سمرقند " وصنفنا الأمكنة الواردة فيها إلى أمكنة منغلقة و منفتحة ، مع تقديم دلالات كل مكان في الرواية .

و أنهينا البحث بخاتمة عرضنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها .

استند هذا العمل على جملة من المراجع أهمها : حنان محمد موسى حمودة ،" الزمكانية و بنية الشعر المعاصر " ، إبراهيم السعافين ، " تحولات السرد دراسة في الرواية العربية " ، غاستون باشلار " جماليات المكان " ، حميد حمداني ، " بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي" .

تعرض البحث إلى بعض الصعوبات أهمها: قلة الدراسات حول المكان الروائي، و بالتالي لم تتوفر المادة المكانية لمعالجته أيضا، وقلة المراجع في المكتبة.

تمهيد :التعريف بالروائي والرواية :

أ – تعريف الروائي :

ولد أمين معلوف بلبنان سنة 1949 ، وهو مسيحي لجهة أمه ، بروتستاني لجهة والده ، و هو يتكلم العربية و يمارس الانجليزية ، ويكتب بالفرنسية .

ترعرع في وسط مثقف حيث تكون الكتابة بأشكالها المختلفة مهمة العائلة التي تنقلها من جيل إلى جيل ، كان بإمكانه أن يكون مؤرخا فكان صحفيا ، و لم يكن بإمكانه أن يميل إلى السياسة لأن المواقع و المناصب في لبنان تقتسمها ثلاث طوائف كبرى لا ينتمي هو إلى أي واحدة منها ، فانتهى في الأخير كاتبا .

غادر بيروت سنة 1976 نحو باريس عن عمر يناهز الرابعة و الثلاثين ، و ذلك بعدما رأى بلده للمرة الثانية يعيش حالة الحرب ، و قد كانت زوجته أندريه حينها تنتظر طفلها الثالث ، كان أول الراحلين تاركا ذويه في عين الكبار وهي قرية معلقة في منتصف المنحدر بجبل لبنان و الموطن الأصلي لعائلته ، لتلتحق به العائلة بعد ذلك ببضعة أشهر كان صحفيا متميزا في يومية " النهار " اللبنانية في السبعينات إذ كان يتابع محطات الصراع الكبرى أنذاك، كحصار سايغون بالفيتنام ، و الثورة الأثيوبية و الحروب العربية الإسرائيلية ... و في باريس استغل " لجون أفريك " ثم أصبح مدير تحريرها ، ثم قرر بعد ذلك أن يتفرغ كلية للكتابة .

وفي سنة 1991 اشترى رفقة زوجته بياتا في جزيرة " يو " الفرنسية ليعتزل فيها بانتظام من أجل الكتابة ، ثم تحصل على جائزة "غونكور " سنة 1993 ، وبعد أربعة عشر سنة من الغياب ، عاد إلى موطنه الأصلي مغبطا بما حققه من مجد ، والده توفي أما أمه فقد استقرت بفرنسا بالقرب من إحدى بناتها ، في حين يجوب أبناؤه العالم .[1] و هم عالميون مثله ، لكن الحنين يراودهم بدرجة أقل ، أما الحرية فيشعرون بها بدرجة أكبر.

فأمين معلوف ولد في حضن طائفة المسيحيين الملكيين التي تعتبر من الأقليات اللبنانية ، و على الرغم من انه مأخوذ بالعالم المعاصر فانه يعرف ماذا تنتظر منه حضارات الشرق القديمة،

---

[1] - عمارة كحيلي .سمرقند . و أدبيات التأمل التاريخي. مجلة الاختلا ف ع 2 . رابطة كتاب الاختلاف . 2002 ص 25 .

فروايته الجديدة " رحلة بلد سار " حققت نجاحا كبيرا . منذ ليون الإفريقي " و سمرقند خصوصا ، و خصوصا صخرة تانويس " التي نال بفضلها جائزة " غنكور " سنة 1993 ، أصبح أمين معلوف ينظر إليه في فرنسا باعتباره " السيد المشرقي " و بعد ظهور آخر أعماله " الهوايات القاتلة " أصبح يدعى السيد المتسامح " غير أن أمين معلوف هو قبل كل شيء أوروبي يحلم بانضمام الشرق الأوسط إلى الاتحاد الأوروبي يوما ما ، إنه روائي ملحمي مستعد تماما لدخول ميدان المسرح ، و قد ألف كتيبا مسرحيا .

إنه رجل متبحر في العصور الغابرة ، و لكنه اختار أن يكتب قصصا للجميع ، رجل يحارب العنصرية و يرفض الابتذال أيضا و المسكنة و التبعية الخاضعة للأقوياء.

و قد كانت الشقة التي يسكنها رفقة زوجته و آخر أبنائه الثلاثة قريبة جدا من مبنى جريدة " جون أفريك " التي عمل بها عند قدومه إلى باريس عام 1976 ، عندما كانت الحرب تعصف بلبنان ، و داخل المنزل كان أمين معلوف يجمع بين الحواسب الباريسية و الأسرة البيروبية و الكتب الانجليزية .

مؤلفاته :

- الحروب الصليبية كما رآها العرب 1983.
- ليون الإفريقي 1986 .
- سمرقند 1988 .
- حدائق النور 1991 .
- القرن الأول بعد باتريس 1992 .
- صخرة طانيوس 1993 (جائزة غونكور) .
- موانئ الشرق 1996 .

- الهوايات القتالية 1998.
- رحلة بلد سار 2000 .

ب **– تعريف الرواية :**

نشرت عام 1988 ، وهي رواية مفتوحة تقوم مشاهدها على رصد حركة المخطوط "رباعيات عمر الخيام " من تاريخ فكرة الكتابة إلى غاية ضياع المخطوط في عرض المحيط الأطلسي ، و ليس عبا أن تكون فصول الرواية معنونة انطلاقا من أربعة كتب :

- الكتاب الأول " شعراء و عشاق " .
- الكتاب الثاني " فردوس الحشاشين " .
- الكتاب الثالث " نهاية الأعوام الألف " .
- الكتاب الرابع " شاعر تائه " .

أما الكتابان الأولان فيسردان حياة الشاعر و الفيلسوف عمر الخيام ب " سمرقند " و بداية تدوين رباعياته ثم انتقاله إلى " أصفهان و انتهائه بمسقط رأسه " نيسابور " في أواخر حياته، وهي الفترة التي اختفى فيها المخطوط .

أما الكتابان الآخران فيسردان رحلة المحقق " بنجمان عمر لوساج " بحثا عن المخطوط " رباعيات الخيام " و ما وقع له في أثناء تلك المغامرة من " طهران " إلى " تبريز " إلى غاية ضياع المخطوط في عرض المحيط الأطلسي .[2]

فهي رواية ترصد ما رواه مخطوط " سمرقند "من أخبار هذه المدينة المندثرة بما في ذلك شباب عمر الخيام في سمرقند ، و بداية تدوينه لرباعياته . هذا في المستوى الثاني فهي تتحرك في أثناء حضور الديوان بين أيدي قرائه ابتداء من القرن التاسع عشر و بالموازاة مع ذلك ،

يروي السارد جملة التغيرات التي وقعت للعالم الشرقي إن سياسيا أو اجتماعيا و لا سيما الأجواء الفارسية بإيران .

---

[2] - عمارة كحلي . سمرقند . و ادبيات التامل التاريخي .مجلة الاختلاف . ع2 . رابطة كتاب الاختلاف . 2002 ص 35 .

– مفهوم المكان :

- **لغة :**

أورد الخليل مفهوم المكان في معجمه العين ، في مادة (**كون**) و قد جاء فيه : " **المكان**" اشتقاقه من كان يكون ، فلما كثرت صارت الميم كأنها أصلية فجمع على أمكنة ، و يقال أيضا : تمكن ، كما يقال من المسكين : تمسكن ، و فلان مني مكان هذا ، و هو في موضع العمامة ، و غير هذا ، ثم يخرجه العرب على المفعل ، و لا يخرجونه على غير ذلك من المصادر .[3]

[3] - الخليل بن أحمد الفراهيدي ، العين ، تر : عبد الحميد هنداوي ، مج4 ط1 ،دار الكتب العلمية ، لبنان 2003 . ص 59 .

كما أورد الخليل المكان أيضا في مادة (مكن) ، و هناك أكد على مسألة المكان في أصل تقدير الفعل و التي ترجع إلى مفعل و ليس إلى فعال ، إذ قال : " المكان في فعال ، فقالوا : مكنا له ، و قد تمكن ، و ليس أعجب من (تمسكن) من المسكين ، و الدليل على أن المكان مفعل : أن العرب لا تقول : هو مني مكان كذا و كذا إلا بالنصب . [4]

أما ابن منظور في معجمه لسان العرب ، فذكر المكان في باب (**كون**) و باب (**مكن**) أيضا ، و قد جاء في هذا الأخير : " و المكان الموضع و الجمع أمكنة كقذال و أقذلة و أماكن جمع الجمع .قال ثعلب : يبطل أن يكون مكان فعالا لأن العرب تقول كن مكانك ، وقم مكانك ، واقعد مقعدك ؛ فقد دل هذا على أنه مصدر من كان أو موضع منه ؛ قال : و إنما جمع أمكنة فعاملوا الميم الزائدة معاملة الأصلية لأن العرب تشبه الحرف بالحرف . [5]

كما جاء في معجم تهذيب اللغة للأزهري قوله : " و قال سلمة : قال الفراء : له في قلبي مكانة و موقعة و محلة ، و قال الليث : كان في أصل تقدير الفعل (مفعل) لأنه موضع لكينونة الشيء فيه ، غير أنه لما كثر أجره في التصريف مجرى (فعال) فقالوا : مكنا له و قد

تمكن و ليس هذا بأعجب من تمسكن من المسكين قال : و الدليل على أن مكان (مفعل) أن العرب لا تقول : هو مني مكان كذا و كذا بالنصب " [6]

- **اصطلاحا :**

إن المكان في الواقع مرتبط بالوجود الإنساني ، هذا الوجود الذي تحقق دوما في ظل مكان حيث كان رحم الأم المكان الأول الذي مورست فيه الحياة بشكل أو بآخر، ثم جاء المهد ثم البيت ثم الشارع ، ثم المدرسة ، ثم المدنية ، ثم القرية ثم أمكنة أخرى يكون أخرها القبر . [7]

فالأمكنة التي نعيشها أو نعلم بالعيش فيها لا تبقى جامدة خاصة إذا تعلق الأمر بأديب ، حيث أنها تسكن ذاكرته و تأسر خياله و " **المكان الذي يأسر الخيال لا يمكن أن يبقى مكانا مباليا خاضعا لأبعاد هندسية و حسب ، بل هو مكان عاش فيه الناس ليس** بطريقة **موضوعية ، و إنما لكل ما للخيال من تحيزات** " [8] .

---

[4] - المرجع نفسه ص 59 .
[5] - ابن منظور ، لسان العرب ، مج3 ، ط4 ، دار صادر ، لبنان 2005 ، ص 113 .
[6] - محمد بن احمد الأزهري . ج 10 . تر : حسن هلالي ، مصر الجديدة ، مكتبة الخايجي ، ص 292 ، 293 .
[7] -فتيحة كحلوش بلاغة المكان قراءة في مكانية النص الشعري ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2008 ، ص 17 .
[8] - المرجع نفسه ، ص 14 .

ومثل هذا النوع من التغير ينتج ما يمكننا أن نسميه بأدب المكان ، و إذا كان هذا النوع من الأدب قديما قدم التعبير البشري نفسه ، فالدراسة المؤطرة له تعد حديثة نسبيا ، إذ لم يوجد في الواقع تنظير للمكان في الأدب إلا مع الفيلسوف الفرنسي غاستون باشلار حيث اهتم في كتابة " شعرية الفضاء " بهذا الموضوع ، دارسا القيم الجمالية للأماكن التي نعيش فيها .

فباشلار يؤكد أن " **المكان الفني ليس المقاس التابع للمعيار الهندسي**"[9]لأنه يعد بعيدا عن ذواتنا ، والذي يعنيه هو المكان الذي عاش فيه الإنسان وأسقط عليه خياله ، ليكون ذكرى محببة إليه ويعرف طريقه في أي وقت يعود إليه .والحق أن هذا المكان عندما يتحول إلى ذكرى يبقى الإنسان مشدودا إليه بذاكرته لكونه مكانا محببا إلى قلبه ، ولا يستطيع أن يشعر بأي إحساس نحو مكان آخر، إلا إذا ولد و عاش فيه طفولته أو فترة من الزمن ، وكان له في ساحاته ذكريات و تجارب محددة .

ومن مفاهيم المكان كذلك نذكر تعريف الباحثة سيزا أحمد قاسم التي ترى أن " **مكان الرواية ليس المكان الطبيعي ، فالنص الروائي يغلق عن طريق الكلمات مكانا خياليا له مقوماته الخاصة و أسعاره المميزة** " . [10]

و يعني هذا أن المكان الروائي عبارة عن مكان خيالي تشكله الكلمات ، وقد يشبه عالم الواقع و قد يختلف عنه ، و إذا شابهه فهذا الشبه خاص يخضع لخصائص الكلمة التصويرية ، فالكلمة لا تنقل إلينا عالم الواقع ، بل تشير إليه و تخلق صوره .

---

[9] - صبيحة عودة زعرب ، غسان كنفاني ، جماليات السرد في الخطاب الروائي ، ط 1 ، دار نجد للنشر و التوزيع ، 2006 ، ص 95 .

[10] - سيزا أحمد قاسم ، بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ ، ط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1984 ، ص 74 .

2 – **أنواع الأمكنة** :

يتنوع المكان استخدامه في النص الإبداعي ، فلكل كاتب وجهة نظر يعتمدها في تقسيمه للمكان ، فمثلا فلاديمير بروب قسم" المكان " في الحكاية الخرافية إلى ثلاثة أطر هي : [11]

1– **المكان الأصل** : و هو عادة مسقط الرأس و محل العائلة .

هذا يعني إن ذكريات البيوت السابقة تبقى في ذاكرة الإنسان طوال حياته متجسدة عن طريق الأحلام وليس عن طريق المعايشة اليومية لذلك يعد البيت أهم مكان يعمل على دمج أفكار الإنسان و ذكرياته و أحلامه أي الماضي و الحاضر و المستقبل.

2 – **المكان العرضي أو الوقتي** : و هو المكان الذي يحدث فيه الاختيار الترشيحي.

3 – **المكان المركزي** : الذي يقع فيه الانجاز .

وقد عدل غريماس تلك الأمكنة مستخدما مصطلحا أخرى ، معبرا عن فهم آخر للمكان ، إذا أطلق على المكان الأصل مصطلح مكان الإنس الجاف " و تتمثل وظيفته في خلق مبررات الأسفار و الأفعال .

أما المكان العرضي أو الوقتي فقد عرفه بالمكان المجاور للمكان المركزي الذي أسماه باللامكان مبينا بذلك أن الفعل المغير للذات و الجوهر لا يمكن أن يتجسم في إطار مكاني معين فمكان الفعل هو اللامكان أي نفي للمكان بوصفه معطى ثابتا و قارا . [12]

---

[11] - سلمان كاصد ، عالم النص (دراسة بنيوية في الأساليب السردية) دار الكندي ، الأردن ، 2003، ص129

[12] - المرجع نفسه ، ص 129 .

أما الناقد العربي غالب هلسا فقد قسم المكان إلى :

1– **المكان المجازي** : هو المكان الذي نجده في رواية الأحداث المتتالية و التشويق إن المكان في هذا النوع من الروايات لا يزيد عن كونه ساحة للأحداث الجارية أو دلالة على الشخوص الروائية فيما يتعلق بمركزها الطبقي أو نمط حياتها وهو أيضا مكمل للأحداث مثل

الأشجار التي تعترض طريق البطل أو التي تخفي الهارب وقد يكون هذا المكان وصفا لحالة تمر بها إحدى الشخصيات الروائية مثل الفقر و الغنى و التباهي والبخل وما شابه ذلك [13]

2 – **المكان الهندسي** : و هو المكان الذي تعرضه الرواية من خلال وصف أبعاده الخارجية بدقة و حياد و بذلك يكثر من المعلومات التفصيلية فيتحول إلى مكان خرائطي و ليس مكانا فنيا .[14]

أي حين يتفكك المكان ليتحول إلى مجموعة من السطوح و الألوان و التفاصيل التي تلتقطها العين منفصلة ولا تحاول إن تقيم منها مشهدا كليا و يتجسد هذا المكان في الروايات التي يغلب عليها اليأس والعجز و الإحباط.

3 – **المكان المعاش** : و هو مكان التجربة المعاشة داخل العمل الروائي و القادر على إثارة ذكرى المكان القارئ ، و هو مكان عاشه مؤلف الرواية و بعد أن ابتعد عنه أخذ يعيش فيه الخيال ، إنه المكان الذي لو عدنا إليه حتى في الظلام فلسوف نعرف طريقنا إلى داخله .[15]

فهذا المكان بعد من أكثر الأماكن تأثيرا في حياة الإنسان ويبقى مخلدا أو محفورا في ذاكرته فهو الذي يشكل دون مكان آخر ذاتيته .

4 – **المكان المعادي** : و هو المكان المعبر عن الهزيمة و اليأس الذي يتخذ صفة المجتمع البدوي بهرمية السلطة في داخله وعنفه الموجه لكل من يخالف التعليمات وتعسفه الذي يبدو

---

[13] - عبد العزيز شبيل ، الفن الروائي عند غادة السمان ، ط 1 ، دار المعارف ، تونس ، 1987 ، ص 47 ، 48 .

[14] - سلمان كاصد ، عالم النص ، ص 129 .

[3]- المرجع نفسه ، ص 129 .

وكأنه طابع قدري ومثاله السجون وأمكنة الغربة وغيرها وهذا المكان ينقصه دائما رد الفعل الإنساني لذا فقد كان ضدا للمكان الرحمي أو المكان الأمومي . [16]

إلا أن الناقد محمد برادة رفض تقسيمات غالب هلسا حيث يقول أنه " **لا يمكن تقسيم الأمكنة أو الفضاءات ... إلى مجازية و غير مجازية لأنها كلها مجازية أي لا تساوي الواقع و إمكان داخل أي نص أدبي يصبح في النهاية نوعا من السعة في المجازية كما لا يمكن أن نقول مكانا هندسيا أو مكانا معاشا لأن جميع الأمكنة لها أبعاد هندسية ، قد يصفها الكاتب ، و قد لا يصفها و قد يستنبطها من خلال إحساساته الداخلية** "[17]

لذلك يقسم الأمكنة حسب رأيه إلى :

1– **فضاءات ممكنة** : حيث يمكن إرجاعها إلى مرجع معين .

2 – **فضاءات متخيلة** : لا يمكن أن نعود بها إلى خارج النص أو إلى مرجع .

أما الناقد ياسين النصير فيكتفي بتقسيم المكان إلى قسمين هما :

1– **المكان الموضوعي** : و هو المكان الواقعي الذي يمتلك مرجعية خارجية .

2– **المكان المفترض** : حيث عدة تخيليا ، يلتقي مع الواقع بصفات الواقع لا بمحدوديته ، فيبدو إذا لا ملامح واضحة له .

هذا النوع من المكان يقترب إلى المكان المجازي الذي حدده غالب هلسا .

في حين نجد فهما لطبيعة المكان في النص القصصي اعتمده الدكتور شجاع العاني و ذلك بتقسيم المكان إلى أربعة أنواع : [18]

1– **المكان المسرحي** : و هو المكان المغلق المتسم بتحديد رؤيتنا له ، نتيجة صغره و ضيقه .

---

[16] - شاكر النابلسي ، جماليات المكان في الرواية العربية ، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات ، لبنان ، 1994 ، ص 13 .

1- سلمان كاصد ، عالم النص ، ص 130 .

[18] - المرجع نفسه ص 133 .

2– **المكان التاريخي** : و هو المكان الذي يمتلك البعد الزمني الواضح حيث تجري فيه تحولات تاريخية هامة ، و قد يسمى بالمكان الزمكاني .

3– **المكان الأليف** : المكان الحنيني الذي يقودنا إلى زمن آخر عبر اللحظة الآنية ، الطفولة ، الصبا ، و قد أسماه غالب هلسا بالمكان المعاش الذي يلتصق بالفرد ، و كذكرى عند القارئ و هو يأخذ صفة الأمومة .

4– **المكان المعادي** : السجن ، المنفى ، الذي يأخذ صفة الأبوية بوصفه إرغاميا و هو ذات المكان المعادي الذي رأيناه عن الناقد غالب هلسا .

و يقسم الباحثان مول و رومر المكان إلى أربعة أنواع حسب حرية الفرد فيها :

1– **عندي** : و هو المكان الحميم الذي يملك المرء فيه كل السلطة .

2 – **عند الآخرين** : شبيه بالأول في أنه يمنح الإنسان شيئا من الألفة و الحميمية ، و مختلف عنه في كون الإنسان يشعر فيه بأنه خاضع لسلطة الغير .

3 – **الأماكن العامة** : وهي أماكن تخضع للسلطة العامة ، نشعر فيها بالحرية و لكنها حرية محدودة أي أنها ليست ملكا لأحد

4 – **المكان اللامتناهي** : و هو المكان الذي نستطيع أن نمثل له بالصحراء ، حيث لا يكون هذا المكان ، كما أن سلطة الدولة بعيدة عنه . [19]

أما عبد الحميد بورايو فيرى إن الأمكنة يمكن أن تقسم بحسب وظيفتها داخل المتن الروائي إلى قسمين وهما الأماكن المنفتحة والأماكن المنغلقة ونقصد هنا بانفتاح الحيز المكاني واحتضانه لنوعيات مختلفة من البشر وأشكال متنوعة من الإحداث الروائية إما الانغلاق فنعني به خصوصية المكان واحتضانه لنوع معين من العلاقات البشرية . [20]

---

[19] - فتيحة كحلوش ، بلاغة المكان ، قراءة في مكانية النص الشعري ، ص 17 .

[20] - عبد الحميد بورايو ، منطق السرد – دراسات في القصة الجزائرية الحديثة – د ط ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1994 ، ص 146 .

3 – أبعاد المكان ودلالته الروائية :

يقوم المكان في العمل الروائي الحديث بوظيفة دلالية خاصة ، متجاوزا التهميش الذي اتصف به من إهمال و عدم الاهتمام في الأصناف الروائية التي اعتمدت المغامرة أساسا لبنائها دون تحديد فضائية مكانية لها ، حيث يمكنها استبدال الأمكنة ، فيحل مكان محل آخر دون أن تتأثر بالحيز الذي تقع فيه .

إن النص الروائي من حيث هو عمل تخيلي يحمل أبعادا مختلفة ، وبالتالي وان كان ورود المكان فيه ضئيلا ومحددا ، فانه يحمل شفرات وسنن دالة داخل الرواية ، بمعنى وجوده فيها ليس اعتباطيا ، وإنما ضروريا صار يشكل وحدات دالة تتفاعل فيما بينها لتؤسس حركية العمل الروائي و دلالته .

يرى فان ليفون من هذا المنطلق أن :" **أساليب وصف المكان تنطوي على معنى يربط ارتباطا لا انفصام فيه بتفسير قصة أو قصيدة معينة كما يمكن أن يربط أيضا بالإطار الأعم والمحدد ثقافيا لتصوراتنا المكانية ، وبالتالي فان أشكال تمثيل المكان في الأدب هي جزء من بنية ثقافية تقوم التجارب الفردية بالإحالة عليها** " [21].

يعد الحديث عن أبعاد المكان ضربا من التجريد الذي يساهم في قطع الصلات بين التصورات النظرية ومعطيات الواقع الموضوعي ، ذلك أنه ليس ثمة فن بدون تجريد إلا أن هناك ما يصوغه النقاد ودارسوا الرواية في تعاملهم مع المكان الروائي وأبعاده ، ويعد الروائيون على طليعتهم ، أنهم قد استطاعوا التعامل معه بحيادية رغم صعوبة ذلك انطلاقا من النزعة العقلانية .

يتحدث جبرا إبراهيم جبرا في هذا السياق عن تجربته مع المكان ، مؤكدا أن إدراك المكان يرتبط بوضع أبعاد له وان كانت هذه الأبعاد غير قابلة القياس . فيقول:"**يغدو إدراكنا**

---

[21] - لينا عوض ، تجربة الطاهر وطار الروائية بين الإيديولوجية وجمالية الرواية ، ص 211 ، نقلا عن فان ليوفن ريتشارد ، المدينة النمطية ، 2004 ، ص 83 .

للمكان تأكيدا على وجودنا بإبعاد يستحيل قياسها في نقطة قد تقع بين الوعي والحلم ولكنها تقع حتما في القلب مما نسميه بالحياة أو الكينونة البشرية كما أنها في القلب من التجربة التاريخية نفسها" [22].

وهذه الأبعاد تتجلى بوضوح من خلال صياغات الأعمال الروائية وتتمثل في :

أ – البعد الفلسفي :

ثمة مفاهيم كثيرة للمكان عند الفلاسفة ابتداء من أفلاطون و انتهاء بفلاسفة العصر ، فقد صرح أفلاطون " **بأن المكان حاويا و قابلا للشيء** " [23] . و رأى أرسطو بعد مقدمة جدلية رد فيها على أقوال الفلاسفة في المكان " **إن المكان هو نهاية الجسم المحيط و هو نهاية الجسم المحتوى** " . [24] و هو يتصور المكان وعاء يحوي الأجسام ، لكنه لا يختلط بها ، كما أنه لا يفسد بفسادها يعرفه بقوله : " **إنه الحد اللامتحرك المباشر الحاوي ، أو السطح الحاوي من الجرم الحاوي المماس للسطح الظاهر للجسم المحوي** " . [25]

أما الفيلسوف الرياضي إقليدس فالمكان عنده ينبغي أن يكون ذا ثلاثة أبعاد هي : الطول و العرض و العمق . [26]

ديكارت و هو أحد فلاسفة العصر الحديث يرى بدوره أن المكان ممتد في الأبعاد الثلاثة كما حدده إقليدس .

في حين يعتبر " سبينوزا " و " مالبراش " المكان امتداد غير متناه .

أما العالمان الفيزيائيين " نيوتن " و " كلارك " فإضافة إلى اعتبارهما المكان حاو للأشياء كما عده أفلاطون فإنهما يضيفان إلى هذا التعريف خصائص : اللامتناهي ، الأبدية ، القدم ، و عدم الفناء .

---

[22] - صالح صالح ، قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر ، ط1 ، دار شرقيات للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 1983 ، ص 41 ، 42 .

[23] - حنان محمد موسى حمودة ، الزمكانية و بنية الشعر المعاصر ، ط ، 2006 ، إرب الأردن ص18 .

[24] - المرجع نفسه ص19 .

[25] - باديس فوغالي ، الزمن و المكان في الشعر الجاهلي ، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع ، عمان ط1، 1429 ،2002 ص 171 .

[26] - المرجع نفسه ص 172.

وفي الأخير و بعد عرض أراء أهم الفلاسفة الغربيين الذين تناولوا مسألة المكان في أبحاثهم، نجد أن مفهوم المكان سواء أكان مقصودا منه محلا ، أو حاويا أم ممتدا هو اصطلاح أنشأه الإنسان لكي يحدد موضعه في المكان ، و لكي يفهمه فهما عقليا ، لهذا السبب لم تجد اللغة و الفلسفة مفردة تدل دلالة واحدة ومتميزة على حاوي الأشياء غير مفردة المكان نفسها .

فلفظة المكان إذن ذات دلالة تعبر تعبيرا واضحا عما يراد منها.

ولا يختلف الفلاسفة المسلمون في تعريفهم كثيرا عن فلاسفة اليونان خاصة في المنطلق الحسي الذي يكمن وراء تعريفهم للمكان .

فإخوان الصفا يرون أن (المكان) " **مكان كل متمكن هو الجسم المحيط به** ". [27]

أما ابن سينا فيذهب إلى أن " **المكان هو ما يكون الشيء مستقر عليه أو معتمدا عليه أو مستند إليه " و سواء كان المكان حاوي للشيء أو محيط بالجسم ، أو أن الجسم مستقر عليه** " [28] .

فكل هذه التصورات عن المكان حسية مرتبطة بوجود أشياء محسوسة ، و يمكن القول بأن نظرة الفلاسفة للمكان قد ارتبطت بعوامل كثيرة منها الفلسفي البحت ، وما يدخل في نطاق الفيزياء و المنطق .

أما الكندي فيبدي موقفه إزاء فكرة المكان في تأكيد ثبوته ، و عدم فساده بما يحل فيه من أجسام و سوائل و هواء ، يضرب على ذلك مثلا فيقول : " **إنه إذا زاد الجسم أو نقص أو تحرك فلا بد أن يكون ذلك الجسم في شيء أكبر من الجسم ، و يحوي الجسم و نحن نسمي ما يحوي الجسم مكانا** " . [29]

و في الموضوع ذاته نجد " الفارابي " ينهل من فكرة أرسطو و يقتدي بموقف الكندي في مفهومه للمكان ، و إقراره بوجوده إذ يرى أن لكل جسم طبيعي مكان خاص ، به يتحدد هذا المكان و ينجذب إليه .

---

[27] - حنان محمد موسى حمودة ، الزمكانية و بنية الشعر المعاصر ،د ، ط ، 2006 ، إرب الأردن ص 19 .

[28] - المرجع نفسه ، ص 19 .

[29] - باديس فوغالي ، الزمن و المكان في الشعر الجاهلي ، ص 172 .

كما يستلهم أبو حيان التوحيدي أراء من سبقوه ابتداء من أرسطو فالكندي ، و يلخص تعريفه للمكان في قوله مجيبا عن سؤال طرحه حول ماهية المكان : هو " **حيث التقى الاثنان : المحيط و المحاط به ، و أيضا هو مماس من سطح الجسم الحاوي ، و انطباقه على الجسم**" [30]

فالمكان عنده هو ما كان بين سطح الجسم الحاوي ، و انطباقه على الجسم ذاته .

كما نجد أبا حامد الغزالي يقف من فكرة المكان موقف الفلاسفة الذين سبقوه ، و الذين أجمعوا على أن المكان هو السطح الحاوي للجسم المحوي و ذلك في قوله : إن المكان " **عبارة عن سطح الجسم الحاوي ، أعني سطح الباطن المماس للمحوي** " . [31]

و أما أبو الحسن علي الامدي فيقترح بدل المكان مصطلح " الحيز " و يفرق بينه و بين مصطلح " الخلاء " إذ يرى أن الحيز " **عبارة عن المكان ، أو تقدير المكان . و أما الخلاء حسب رأيه فعبارة عن بعد قائم لا في المادة من شأنه أن يملأه** " [32] .

ويعتبر هذا التعريف من أهم تعار يف القدامى لمصطلح المكان ، و ذلك أن أغلب المفاهيم صبت في مفهوم المكان .

كظاهرة فيزيائية أو رياضية أو مماثلة و قابلة للملامسة ، أو هذه الخصائص مجتمعة إضافة إلى عدم التأثر بما يحل بها ، و اتصافها عند البعض بالخلود و عدم الفناء .

ب – البعد الفني :

إذا كنا قد مهدنا بالحديث عن المكان الحقيقي الذي سعت الدراسات الفيزيائية إلى تحديد أطره و أبعاده ، و بحثت الدراسات اللغوية و الفلسفية عن تعريف حسي له ، فاختلفت الآراء أيما اختلاف ، هذا المكان الحقيقي لا يمكن فصله عن المكان الفني ، فالعالم كما يقول شوبنهاور ، (هو خيالي أنا) إذن هناك مكان ينظر إليه من جوانب و أبعاد مختلفة ، فتضحى الأشياء المادية الواحدة متعددة الأشكال تبعا لاختلاف الجانب الذي ينظر إليه ، و نفسية

---

[30] - المرجع نفسه ص 172.
[31] -المرجع نفسه ص 172.
[32] - المرجع نفسه ض 172 .

الناظر ، و المكان أكثر من منظر طبيعي ، إنه حالة نفسية ، يستعاد عن طريقها التاريخ الشخصي المتجذر في اللاوعي المرتبط بهذا المكان أو ذاك .

و ربما يكون أول تعريف وصل إلى أيدي نقادنا للمكان الفني هو تعريف غاستون باشلار : "**المكان الممسوك بواسطة الخيال لن يظل " مكانا محايدا ، خاضعا لقياسات و تقسيم مساح الأراضي ، لقد عيش فيه لا بشكل وضعي ، بل لكل ما للخيال من تحيز ، وهو بشكل خاص ، في الغالب مركز اجتذاب دائم و ذلك لأنه يركز الوجود في حدود تحميه**" [33].

هذا يعني أن المكان يثير خيال كل من المؤلف و القارئ ،فالتوق إلى إشارة الذكرى تغني الفن الروائي بعالم يثير عاطفة القارئ ، وتجعله يعود إلى مكانه الخاص المحبب .

و يؤكد هذا القول سان بيف في وصف بيت الطفولة حين بعث لصديقه رسالة يقول فيها : "**ليس شانك يا صديقي أنت الذي لم تشاهد هذا المكان وحتى لو شاهدته فلن تستطيع أن**

تشعر بتلك الانطباعات والألوان التي أشعر بها ، وليس لك ان تحاول أن تراه من خلال ما كتبته عنه ، بل دع الصورة تطفو في داخلك وتعبر خفيفة ، فأقل القليل منها يكفيك"[34].

و غالب هلسا يرى أن كتاب " جماليات المكان " ل : غاستون باشلار قد نظر للمكان في ضوء الصورة الفنية التي توقظ فنيا ذكريات بيت الطفولة ، الذي نشعر فيه بالألفة فهو "**المكان الذي مارسنا فيه أحلام اليقظة ، و تشكل فيه خيالنا ، فالمكانة في الأدب هي الصور التي تذكرنا و تبعث فينا ذكريات بيت الطفولة ، و مكانية الأدب العظيم تدور حول هذا المعنى** " . [35]

---

[33] - غاستون باشلار ، جماليات المكان ، تراغالب هلمسار ، ص 6 .

[34] - صبيحة عودة زعرب ، غسان كنفاني ، جماليات السرد في الخطاب الروائي ، ص 96 .

[35] - حنان محمد موسى حمودة ، الزمكانية و بنية الشعر المعاصر ، ص22 .

أما ياسين الناصر فيقول : " **إن المكانة عندنا شأنه شأن أي عنصر من عناصر البناء الفني، يتجدد عبر الممارسة الواعية للفنان ، فهو ليس بناء خارجيا مرئيا ، و لا حيز محدد للمساحة ، و لا تركيبا من غرف و أسيجة و نوافذ بل هو كيان من الفعل المغير ، و المحتوى على تاريخ ما** " [36].

و لو قارنا هذا التعريف بتعريف غاستون باشلار السالف لوجدناهما لا يبتعدان بقليل أو كثير ، إلا أن ياسين النصير لم يؤكد قوله (عندنا) ، و إذا كان يركز على أن للمكان عنده مفهوما واضحا يتلخص بأنه " **الكلام الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان و مجتمعه ، و لذا فشأنه شأن أي نتاج اجتماعي آخر يحمل جزءا من أخلاقية و أفكار و وعي ساكنه** " [37].

فقد سبقه عز الدين إسماعيل حين نظر إلى الصورة الشعرية لا على أنها تمثل المكان المقيس ، بل المكان النفسي لأن " **حقيقة المكان قياسية تسهل التعامل بين الناس في حياتهم اليومية** " [38] .

ونلاحظ مدى التقارب بين القولين فإذا كان الكيان الاجتماعي هو الأساس في تحديد أبعاد المكان الفنية عند ياسين النصير فان الأثر النفسي الناتج عن واقع اجتماعي هو المحدد لأبعاد المكان عند عز الدين إسماعيل .

إن تعريفات النقاد السابقة فيها شبه إجماع على نقاط معينة في تحديد المكان وأبعاده فالخيال والحالة النفسية والوضع الاجتماعي أساس فيها .

ومنه فتعريف المكان الفني كما تبين واتضح من خلال التعريفات السابقة هو المكان الذي يتشكل بفعل الخيال .

---

[36] - المرجع نفسه ، ص 23 .

[37] - ياسين النصير ، الرواية و المكان ، وزارة الثقافة و الإعلام ، بغداد ، 1986 ، ص 8 .

[38] - عزالدين إسماعيل ، التفسير الفني للأدب ، ط1 ، دار غريب ، القاهرة ، 1984 ، ص25 .

أي إن المكان هو المكان الملموس و الخيال هو خيال الأديب الذي تكون لديه عبر تاريخ طويل تحت وقع الظروف الاجتماعية و النفسية و السياسية و الدينية فقد يكون المكان الفني ماضيا أو قد نسترجع مكانا ما من خلال أحداث حدثت أو أن نعيش حاضرا في هذا المكان أو ذاك عبر الأحداث التي تجري وربما نرسم عالما خاصا بنا نتمنى تحققه في المستقبل وعلى كل حال فان الوعي بموقع المرء في المكان هو الذي يجعل المرء يحدد اطر المكان وأبعاده و يرسم جمالياته.

ج – البعد الزمني التاريخي :

تظهر تجليات التاريخ وتوضعها في الأمكنة الروائية من خلال تلك الأشياء التي وضعها الإنسان على الأمكنة الرضية من عناصر ساهمت في وسمها بكل ما ينضم إلى ما اصطلح على تسميته بالتاريخ الإنساني .[39]

فالأماكن لها تاريخها ولذلك قلما نجد ناقدا أو باحثا روائيا يغفل الإشارة إلى البعد الزمني التاريخي أثناء تعرضه للمكان الروائي ودليل ذلك إشارة سامية اسعد في مجلته فصول إلى البعد التاريخي للمكان بقولها " **للمكان الذي تدور فيه أحداث القصة بعد تاريخي ومكان آخر يوسع دائرة المكان إلى ابعد مدى ويرقى بالقصة من المحلية إلى العالمية** " [40] .

كما يتعرض فاروق وادي إلى الزمان في المكان " **يشهد على ذاته في فعل الزمان فان الصحراء تحمل دلالات الموت والضياع وفي جبروتها تكمن القسوة ويمكن للرجال الموغلين في جوفها نحو المكان البديل لكي يضعوا فيه زمنا بديلا زمنا بديلا** " [41] .

كما قد يدخل البعد التاريخي بشكل غير مباشر في رسم الأمكنة الروائية من خلال الحديث عن جماليات بعض الأبنية الريخية او المدن الأثرية لان الرواية رحلة من الزمان والمكان على حد سواء .

---

[39] - صالح صلاح ، قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر ، ص 52 .

[40] - المرجع نفسه ، ص 53 .

[41] - صالح صلاح ، قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر ، ص 53 .

4- وظائف الأمكنة :

إن علاقة المكان بالقصة قديمة جدا تغوص في جذورها في أعمال الماضي ، فالمكان الجغرافي و جماليا ، يتردد من القديم ، فالغابات و الجبال و الكهوف و الصحاري و الأكواخ ... مذكورة في القصص العالمي و العربي منذ فجر التاريخ ، و لعل نظرة إلى قصصنا العربي و ما فيه من خرافات و أساطير تدلنا على ارتباط المكان بالفكرة الكامنة في القصة أو المغزى الذي يقع خلفها ، و هذا يعني أن المكان يعطي دلالة معينة و مغزى خاص لمضمون القصة . "**ومهما يكن فإن القصة لا بد أن ترتبط بشكل من الأشكال بالمكان على اختلاف في حتمية المكان و دوره في بنية العمل ، فالمكان وعاء للحدث و الشخصية أو إطار لهما و لغيرهما من عناصر القصة** " . [42]

و من هنا يتضح لنا أن المكان وظائف عديدة تتجسد أهميتها في العمل الروائي و يمكن حصرها فيما يلي :

يعتبر المكان الإطار الذي تقع فيه أحداث الرواية إذ لا يمكن تصور حدث روائي بعيدا عن المكان و هذا ما ذهب اليه سلمان كاصد في قوله : " **لهذا أصبح المكان في العمل الإبداعي مسرحا للأحداث** " . [43]

---

[42] - إبراهيم السعافين ، تحولات السرد ، دراسات في الرواية العربية ، دار المشرق للنشر و التوزيع ، عمان ، ط 1 ، 1996 ، ص 165 .

[43] - سلمان كاصد ، عالم النص ، ص 127 .

ويوافقه حميد الحمداني عند ما قال : " **و طبيعي أن أي حدث لا يمكن أن نتصور وقوعه إلا ضمن إطار مكاني معين ، لذلك فالروائي دائم الحاجة إلى التأطير المكاني** " . [44]

لكن المكان الروائي تجاوز مجرد كونه إطار للحدث ، حيث اكتسب دلالات أعمق و علاقات داخلية جديدة جعلت له وظائف أخرى أكثر تعقيدا . " **فالمكان لم يعد إطارا**

للحوادث و الماسي بل شيئا أعمق و استطاع الشاعر بحسه المرهف أن يكتشفه من جديد، و يحمله الكثير من مكنوناته الداخلية و أن يجمع شتات الإنسانية التي كتبها الزمن ليطلقها من عقالها و يعيد تركيبها من جديد في عالم يحلم به " [45].

و منه أصبح المكان يحمل تجارب تاريخية ن و اجتماعية و نفسية و عقائدية و سمات جمالية مترسبة في لا شعور الإنسان ، توارثتها ذاكرة عبر الزمن لتجعل العمل متكاملا فنيا .

فالمكان وعاء للزمن " **حيث يسعى الشخص من خلالها إلى تحقيق شعوره بالتواجد و الكيان الفردي و الاجتماعي وفق جملة من العوامل التي تشكل المحيط النفسي و الاجتماعي** " [46].

إن الإنسان يحتاج دائما إلى مكان يضرب فيه بجذوره ، و عبر هذه الجذور تتمثل هويته و التي تتحول فيما بعد على مرآة عاكسة ، حيث تسقط الذات البشرية على المكان قيمتها الحضارية .

و المكان شخصية أدبية ، و يؤكد محمد جبريل هذا بقوله : " **المكان بعد مكمل لبعدي الشخصيات و الأحداث في الأعمال الإبداعية السردية** " .[47]

و هذا يعني استحالة الاستغناء عن المكان في العمل الروائي .

فالمكان يعتبر ركيزة من ركائز البناء الروائي : " **إذ يساعد على التفكير و التركيز و الإدراك العقلي للأشياء و البيئة التي تنتظم مع الأحداث في وحدة فنية متكاملة** " [48]

---

[44] - حميد الحمداني ، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ن المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط 3 ، 2000 ، ص 72 .

[45] - حنان محمد موسى حمودة ، الزمكانية و بنية الشعر المعاصر، ص 15 .

[46] - أحمد طالب ، جماليات المكان في القصة القصيرة الجزائرية ، دار الغرب للنشر و التوزيع ، الجزائر ، ص11 .

[47] - يوسف نجم ، فن القصة ، دار الثقافة ، بيروت ، ط 5 ، 1996 ، ص 109 .

إن تزاوج المكان الفني بالواقع يشكل أدبا حقيقيا ، فيتجاوز كونه تجسيدا للواقع إلى تمجيد عظمة الإنسان و مغامراته الحضارية ، كما أن المكان يجسد الحياة بكل ما تحمله من أبعاد ثقافية و اجتماعية و تاريخية ...

لذلك نجد معظم الكتاب يفضلون تصوير واقعهم الخاص من خلال المكان ، من أجل ظهور انتمائهم القومي .

ومن وظائف المكان إدماج التلقي في النص القصصي ، و جعله يتفاعل معه لدرجة أنه يتعايش مع أحداث الرواية " **و الحقيقة أنه يترتب من تصوير البيئة أثر كبير في إدماج القارئ للمشاركة ، بكل جوارحه في تصور مناخها في النص القصصي ، و إتاحة الفرصة له الطبيعي ، بإحساس معين ، يتحول خلاله الخيال إلى حقيقة شعرية عبر عملية التذكر و مقارنة الأشياء و الموجودات و المكونات القصصية ، التي تمكن كنايتها القارئ من تصور الجو العام للقصة عبر دلالات الأشياء و رموزها** " . [49]

وتحمل البنية المكانية في الرواية سمات العصر و تعبر عن التاريخ المعيش " **و لعل بيئة القصة حقيقتها الرمانية و المكانية لما تحمله من سمات تدل على المرحلة و ما يتعلق بتاريخها هي الطبيعي ، بما يحمل من أخلاق الناس و مشاكلهم و نظمهم في الحياة** " [50]

فالمكان يعد عنصرا أساسيا في العمل الروائي مثل الزمان ، و المزاوجة بينهما تؤدي إلى تحقيق وظيفة الكشف عن الأبعاد النفسية للشخصيات .

نتوصل من خلال ما سبق إلى نتيجة مفادها أن المكان يكتسي أهمية حسب طرق إدراكنا له و درجة وعينا به ، فلا وجود لمكان خال من الوظيفة و الدلالة .

---

[48] - - أحمد طالب ، جماليات المكان في القصة القصيرة الجزائرية ، ص 19 .

[49] - - أحمد طالب ، جماليات المكان في القصة القصيرة الجزائرية ، ص22 .

[50] - المرجع نفسه ، ص 24 .

1- الفضاء في رواية " سمرقند " :

الفضاء في الرواية يحتل مركز النص ، فهو ليس مجرد ميدان تدور فيه الأحداث ، و لكنه موقع يهيمن على ما وراء الحدث ، و يحتوي على دلالات و محمولات خاصة ، كما أنه يؤثر على الشخصيات ، إذ يمارس سلطته عليها ، ويعبر عن طبيعتها ، فيكون بذلك مرآة عاكسة لها .[51]

و إذا كان الفضاء يكتسي هذا القرار الكبير من الأهمية ، فما الفضاء الذي اختاره أمين معلوف لرواية سمرقند ؟

إن الفضاء يعتبر الإطار الذي يحتوي عدة أمكنة ، فقد حصره الكاتب في هذه الرواية في سمرقند ، باعتبارها الوعاء الذي يحتوي على عدة أمكنة رئيسية ، و تتفرع بدورها إلى أماكن فرعية داخلها ، و قد تمثلت الأماكن الرئيسية في المدنية و المسجد حين جرت أغلب الأحداث فيهما .

فالفضاء في الرواية ميدانا للصراعات المتمثلة في الصراعات السياسية و الدينية ، و حالة الحرب التي تعرفها سمرقند ، و التي تختلف أسبابها و مبرراتها ، فالرواية صورت الاضطراب الذي كان يعيشه العالم الإسلامي في تلك الحقبة ، من زمن السلاجقة ، كما تطرقت لما يعرف بأسطورة الحشاشين و زعيم حسن الصباح ، و قلعتهم الشهيرة " ألموت"

و يعرض هذا الفضاء فترات حاسمة في حياة عمر الخيام ، أحد أبطال الرواية الذي ولد في نيسابو (في إيران حاليا) ، صاحب المخطوط " رباعيات عمر الخيام ، و الكثير من أفكاره في علم الفلك و الرياضيات و فلسفة في الحياة " ، حيث يجعلنا السارد نعيش حالة الشغف و الشوق لمعرفة مصير هذه المخطوط الذي سرق منه و حفظ في قلعة ألموت ولا يأتي

---

[51] - حميد الحمداني ، بنية النص السردي ض 70

الجواب شافيا لنا في زمن الخيام حيث يبقى مصيره مجهولا يعرض لنا زمنا آخر هو زمن العلامة جمال الدين الأفغاني في بدايات القرن 20م .

و تجدر الإشارة هنا إلى أن فضاء المدنية هو الفضاء المهيمن في رواية سمرقند ، حيث كانت لها دور كبير في تيسير الأحداث وانتقال للشخصيات فيها .

و قد جسد الروائي هذه الأقطاب في الرواية . يقول : " **السلجوقيون ، إن عمر الخيام يعرفهم فهم يعششون في ذكريات طفولته الأولى ، لقد هاجموا المدنية التي ولد فيها ، تاركينها لعدة أجيال ذكرى هلع عارم ... أولئك هم السلاجقة ، نهابون ، أميون ، و ملوك مستنيرون ، و هم أهل للدناءات و لأسمى الأعمال ، استولوا على أصفهان ، بغداد** ..."[52]

فالمكان في رواية "سمرقند " يحمل أبعادا اجتماعية ، تاريخية ، سياسية ، دينية ، تجتمع كل هذه الأبعاد لبناء الفضاء الروائي ، فأصبح له سيادة مطلقة باعتباره بطلا مني أبطال الرواية ، ينطلق منه المؤلف لبلورة أفكاره و توضيح رؤيته .

2- أنواع الأمكنة في الرواية :

[52] - أمين معلوف ، سمرقند ، المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر و الإشهار، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1997 ، ص 51 .

أوردنا في الفصل الأول رأي عبد الحميد بورايو في أنواع الأمكنة ، حيت ذكر الأماكن المنفتحة و الأماكن المنغلقة ،و يقصد بالانفتاح احتواء المكان على فئات و نوعيات مختلفة من البشر و كثرة الأحداث الروائية فيه و تنوعها ، أما الانغلاق ، فيعني به محدودية الأحداث و العلاقات بين الشخصيات .

1- الأماكن المنغلقة:

أ – الأماكن المنغلقة انغلاقا كليا :

– السجن : يعتبر السجن مكانا منغلقا بحكم خصوصيته ، و خصوصية العلاقات البشرية التي يحتضنها ، حيث ينغلق على مجموعة الأشخاص فيفصلهم عن العالم الخارجي ، و تقتصر العلاقات بينهم في تلك الحدود المنغلقة بإحكام ، و السجن لا يقتصر على شكله الذي يميزه عن باقي الأمكنة الأخرى فهو مكان يعيد تكوين الإنسان من جديد .

ففي الرواية ذكر السارد أو الروائي السجن لكن لم يليق اهتماما كبيرا لديه ، إذ لم يصفه وصفا دقيقا و إنما وصف مشهدا منه فقط و هو كيفية عقاب " جابر " **تلميذ ابن سينا المفضل الذي كان فيه متمما لطبه كما لأرائه ما وراء الطبيعة ، و كان معجبا بحججه ، إلا أن جابر كان يؤخذ عليه سكر أفكاره بكثير من الجهل و الفضاضة . هذا ما كلف جابرا عدة أقامات في السجن و ثلاث عمليات جلد أمام الملا . كان أخرها في ساحة العامة ، و كان عدد السياط التي انهالت عليه فيها بحضور جميع ذوي قرباه مئة و خمسون سوطا "** . [53]

ففي ذلك العصر، كل من كان أهل فهم و علم يعتبر متمردا على الدين و بالتالي سينال جزاؤه.

ب – الأماكن المنغلقة انغلاقا جزئيا :

– الغرفة (الحجرة) :

[53] - أمين معلوف ، سمرقند ، ص 15 .

يمكن أن نؤكد أنها نمط من أنماط الفضاء التي أفرد لها السارد حيزا و مساحة في روايته ، لم تكن لها دلالات عميقة و إنما كانت محطة للراحة و الاستمتاع و استرجاع ذكريات الماضي ، شكلت عالما قائما بذاته ، مستقلا عن المدنية و عن الشارع معا.

و يرى غاستون باشلار في كتابه " شريعة الفضاء " **أن الغرفة كفضاء منغلق ليس مجرد ظاهرة فيزيولوجية ، قابلة موضوعيا للوصف و تحديد الوظيفة و حسب " الإيواء " و لكن** الغرفة ... **و هي جزء من البيت الذي نسكنه ... شكل عالمنا و جوهر وجودنا إذ فيها نمارس أحلام يقظتنا و نستشعر الهدوء ، هو ريف الذي نستعيد من خلال** ذكرياته **الماضية و تخطط لمشاريعنا المستقبلية** ". [54]

لكن الغرفة في رواية سمرقند لم تأخذ تلك الدلالات ، و إنما كانت فقط مجرد غرفة في فندق ، أو في القصر الملكي ، لها حاجة رئيسية تلبيها ، و هي الراحة و الاستمتاع .

عندما عاد عمر الخيام إلى بيته وجد جهان في غرفته . قالت له : " **ترفض أن تصدق أن تكون امرأة قد جرؤت على انتهاك غرفتك لقد تلاقت نظراتنا في القصر ، و عبرتها ومضة غير أن الخان كان هناك و القاضي و سائر الحاشية ، وكان أن تهربت نظرتك** ، و **اخترت مثل كثير من الرجال ، ألا تتوقف ، فما الجدوى من تحدي القدر** ....." .[55]

هذه الغرفة ليست كبقية غرف البيوت التي توحي بالألفة و الأناسة ، هي غرفة من فندق مخصصة فقط للراحة .

و قد وردت كلمة غرفة في مواضع أخرى من الرواية ، حيث نظر إليها السارد على أنها " **مجرد حجرة واطئة السقف رديئة الإنارة ، و كانت أرضيتها الترابية لزجة و مقاعدها مقلقة و موائدها مبللة** " [56] . فالراوي هنا ركز على وصف المظهر الخارجي لها ، مما جعلها مفرغة من دلالتها .

---

[54] - منيب محمد البورمي ، الفضاء الروائي في الغرفة ، الإطار و دلالاته ، دراسة تحليلية . دار النشر المغربية سنة 1983 . ص 61.

[55] - أمين معلوف ، سمرقند ، ص 47 .

[56] - أمين معلوف ، سمرقند ،ص 94 .

للغرفة قيمة " **و لا توجد قيمة أعظم من الألفة** " [57] ، فإنه يكبر شعور الإنسان بهذا المكان و يزداد إحساسه به ، و يبحث على كل الوسائط و الشروط لألفته .

بالإضافة إلى ذلك ، تمثل الغرفة جزءا من فضاء الحلم " **فالبيت الذي ولدنا فيه هو أكثر من مجرد تجسيد المأوى ، هو تجسيد للأحلام ، كذلك كل ركن و زاوية فيه كان مستقر الأحلام اليقظة و عاداتنا المتعلقة بحلم يقظة ما ، قد أكسب في ذلك المستقر** " [58]

" **إنه مستلق الآن في حجرته فالأنوار مطفأة ، و ذراعاه تهصران بشدة جهانا وهمية و عيناه محمرتان حتى الدموع و الخمر ، و على يساره فوق أرض الغرفة إبريق و كأس فضية يتناولها بين الفينة و الفينة بيد كليلة ليعيد جرعات طويلة ساهمة متقززة و شفتاه في حوار مع نفسه و مع جهانا** " .[59]

نستنتج مما سبق إن فضاء الغرفة هو فضاء الألفة ، ساعد الشخصيات على الاتصال بباقي الأمكنة الأم .

- **ألموت** :

مكان منغلق لموقعه الجغرافي ، فهو مكان يوجد في الجبل ، أقام فيه حسن بن علي المصباح قلعته ، يتميز هذا المكان بوعورة الوصول إليه ، و الدليل على ذلك : " **ألموت إنه حصن فوق صخرة على ارتفاع ستة ألاف قدم ، تحيط به جبال إلى جرداء ، و بحيرات منسية و**

لهوب و ممرات جبلية غير مفضية ، وليس في مقدور أكثر الجيوش عديدا الوصول إليه إلا رجلا إثر آخر ، و لا أقوى المجانيق ملامسة أسواره"[60] .

ويسود بين الجبال " الشاه رود " الملقب ب " النهر المجنون " الذي ما إن يحل الربيع و تذوب ثلوج جبال " البرز " حتى يضخم و يتسارع جارف في سيره الأشجار و الحجارة

فويل لمن يجرؤ على الاقتراب منه ، و ويل للجيش الذي يجرؤ على إقامة معسكره عند ضفافه .

---

[57] - غاستون باشلار ، جماليات المكان ص 184.

[58] - المرجع نفسه ص 44.

[59] - أمين معلوف ، سمرقند ، ص 164.

[60] - أمين معلوف ، سمرقند ، ص 133.

و يتصاعد من النهر و البحيرات كل مساء ضباب كثيف ملبد ، و يتسلق اللهب ثم يتوقف في منتصف الطريق ، و عندها يبدو حصن ألموت للقاطنين فيه و كأنه جزيرة وسط محيط من الغيوم ، و إذا نظر إليه من تحت فإنه مأوى الجن.

ألموت تعني في اللهجة المحلية " أمثولة النسر " "**و يحكى أن أميرا أراد بناء قلعة للتحكم بهذه الجبال ، فأطلق طائرا كاسرا مدجنا لهذا الغرض ، و بعد أن حلق الطائر في السماء حط فوق تلك الصخرة ، و فهم الأمير أنه ما من مكان يمكن أن يكون أفضل من ذلك المكان** " [61] . فألموت مكان منعزل و هذا يعود إلى الموقع الجغرافي و بالتالي قلة الأحداث و قلة الشخصيات

2- الأماكن المنفتحة :

-المدينة :

إن المدينة هي نطاق عمراني متشابك ، يحتوي على خليط بشري و أجناس مختلفة جمعت بينهم الظروف و الحاجات و الاقتصاديات اليومية ، و تحولت بعض المدن الكبرى إلى عواصم اقتصادية و أخرى سياسية و تطورت جذريا عما كانت عليه .

تشكل المدينة اشتغالا بارزا عند السارد بمظاهرها و بناياتها، و قد تكررت لفظة المدينة في الرواية من بدايتها إلى نهايتها باعتبارها جزءا من الأحداث .

قدم السارد مدينة أصفهان حيث وصف مظاهرها الطبيعية و بعض ميزاتها حيث يقول " **أصفهان نصفي جهان** " . "**أصفهان نصفي الدنيا ، حجارتها من غالينة "كبريت الرصاص" و ذبابها نحل و عشبها زعفران ، هواؤها شديد النقاء ، مفعم بالعافية ، و أهراؤها لا تعرف السوسى ، و ما من لحم فيها يفسد** " **و الحق أنها قائمة على ارتفاع خمسة ألاف قدم ، تحوي على ستين فندقا و مئتي صيرفي و صراف ، و عددا لا يحصى من الأسواق المسقوفة ، و محترفاتها تغزل الحرير و القطن ، و سجادها أقمشتها و أقفالها و تصدر إلى ابعد المناطق ، و ورودها تتفتح ألف نوع و لون ، و غناها مضرب الأمثال ،**

[61] - المصدر نفسه ، ص 134 .

و تجتذب هذه المدينة أوفر مدن العالم الفارسي سكانا ، جميع الساعين إلى النفوذ و الثروة و المعرفة " . [62]

- قاشان :

مكان يرمز للراحة أو هو مكان يلجأ إليه الزوار أو السواح قصد الراحة و الاستجمام و صفه الراوي بقوله " قاشان واحة من البيوت الواطئة على الطريق الحريري عند طرف صحراء " الملح " ، تتجمع فيه القوافل و تلم أنفاسها قبل أن تحاذي " قرغاز قوه " جبل العقبانن ، مخبأ قطاع الطرق الذين يبتزون نواحي أصفهان .

" **قاشان إنها مبنية بالطين و الوحل ، و عبثا يبحث الزائر فيها عن جدران تبهج النفس أو أطناف مزخرفة و مع ذلك فإنه يصنع هنا أجود الطوب المصقول الذي سيزخرف بالأخضر و الذهبي ألاف المساجد و القصور و المدارس من سمرقند إلى بغداد .و خارج**

المدينة خان للقوافل في ظل أشجار النخيل ، و له سور مستطيل بأبراج صغيرة للمراقبة و فناء خارجي للبهائم و البضائع ، و فناء داخلي تحيط به غرف صغيرة للنزلاء ".[63]

قاشان مكان منفتح ، و الدليل على انفتاحها ، اكتضاضها بكم هائل من السواح " **أراد عمر استئجار إحداها ، إلا أن صاحب الخان أبدى أسفه ، ليس من غرفة شاغرة لقضاء الليل فقد وصل للتو أثرياء من أصفهان مع أبنائهم و خادماتهم ...فالمكان يعج بالمنادين علما لبضائع و بالمطايا المطهمة** " . [64]

- ميدان الصرافين :

مكان منفتح "كثرة الشخصيات و كثرة الأحداث " و ما يدل على ذلك " **كان** المسافرون و التجار من جميع **الأصقاع ، من أندلسيين ، و روم ، و صينيين ، يصرفون أمورهم حول النقاد المزودين عن جدارة بموازينهم النظامية ، و كانوا يحكون دينارا كرمانيا أو**

---

[62] - أمين معلوف ، سمرقند ، ص 86 .
[63] - أمين معلوف ، سمرقند ، ص 86 .
[64] -المصدر نفسه ، ص 81 .

نيسابوريا أو اشبيليا أو يتشممون " طنقا " من دلهي ، أو يزنون درهما من بخارى أو يبرطمون أمام " نومسما " من القسطنطينية نقصت قيمته حديثا " [65] .

مكان يدل على احتكاك و امتزاج الثقافات و الأجناس و الحضارات .

– الديوان : و هو القصر الملكي أو مقر الحكومة ، و إقامة نظام الملك الرسمية " **و قد وقف عنده زامرون من حرس " النوبة " كلفوا النفخ في أبواقهم ثلاث مرات في اليوم على شرف الوزير الأعظم ، و على الرغم من أمارات الأبهة هذه ، فقد كان بإمكان أي إنسان الدخول حتى أوضع الأرامل ، كان مسموحا لهن بغشيان الديوان قاعة الاجتماعات الفسيحة للدنو من أقوى رجل في الإمبراطورية ، و عرض الدموع و المظالم عليه ، و هنا فقط يحيط الحرس و الحجاب بنظام الملك ، و يستجوبون الزوار و يزيحون**

المزعجون ... و هم خليط منسجم محيط بالوزير المشغول في تلك الساعة بحديث مع ضابط تركي " [66] .

الديوان مكان منفتح له بعد سياسي " ... لقد عهد بالسلطة العليا إلى الخليفة العربي ، فتنازل عنها للسلطان التركي فوضعها بين يدي الوزير الفارسي ..."

-الشارع :

هو المكان الذي يتحرك فيه الناس كل يوم ، و كل ساعة ، بل و كل لحظة و لا تعتبر المدينة حية ،'إلا إذا امتلأت شوارعها بالراكبين ، و الراجلين و المتجولين ، و الباعة من شارع إلى شارع .

من ثمة هنا عدة روايات أولت الشارع ، و حياة الشارع ، وناس الشارع اهتماما كبيرا من الشرق إلى الغرب وجعلت لشوارع معينة قيمة تاريخية ، إلا أن فضاء الشارع الموجود في الرواية لا يحمل أي دلالة حيث أن السارد وقف بعيدا و أخذ يسرد لنا أجواء سمرقند و ذلك من خلال رحلة استكشافية قام بها عمر الخيام " **فعمر الخيام في الرابعة والعشرين ، و لم يمض على وجوده في سمرقند كبير وقت ، فهل كانا ذاهبان إلى الحانة في ذلك المساء**

---

[65] - المصدر نفسه ، ص 88 .

[66] - أمين معلوف ، سمرقند ، ص 89 .

، أم أن صدفة التسكع هي التي حملته ؟ إنها اللذة الندية بزرع مدينة مجهولة و العينان مفتوحتان على ألف لمسة من لمسات النهار المنصرم : صبي صغير يجري بقدميه الحافيتين فوق بلاطات شارع " حقل المراون " العريضة ..." .[67]

و في ساحة تجار الزبل ، اقتربت من الخيام امرأة حامل ... ثلاث عمليات جلد أمام الملأ كان آخرها في ساحة سمرقند العامة ، اجتاز بلا توقف الشوارع الكبيرة الرئيسية المحفوفة بأشجار التوت المائلة ...حتى وصل إلى حي أسفزار ، شارع عبدك في حي غطفان ...

- **الجامع (المسجد) :**

يعد المسجد مكانا للعبادة و الصلاة و نشر العلم و المعرفة ، و من الأماكن المقدسة عند المسلمين ، و رغم أنه لم يكن من الفضاءات الأساسية في النص ، إلا أنه استطاع أن يقدم بعض الدلالات الهامة ، و أولها هذه الدلالات كونه فضاء للأمن و الطمأنينة حيث يلجأ إليه المسلحين للاختباء فيه " ... **لقد قرر فقهاء المدينة ، و علماؤها مقاطعة حفل الاستقبال لأنهم أخذوا على الخان إحراقه جامع بخارى الكبير عن آخره ، بعد أن اختبأ فيه بعض المعارضين المسلحين** " .[68]

كما يعتبر مكانا للتضرع إلى الله سبحانه و تعالى " **أما الليلة التي تسبق العيد لييلة الوقفة التي تستجاب فيها الأماني و النذور ، فقد قضتها عدة عائلات في المساجد و مزارات الأولياء ، فكانت ملاذات هشة ، و كانت ليلة احتضار و دموع و صلوات و أدعية** " [69]

المسجد يحمل أيضا بعدا سياسيا " **و في مدينة "ساوه " يمشي خطيب أحد المساجد**

---

[67] - المصدر نفسه ، ص 13 .
[68] - أمين معلوف ، سمرقند ، ص 36 .
[69] - المصدر نفسه ،ص 52 .

ببضعة أشخاص يجتمعون في أوقات الصلاة بعيدا عن سائر المسلمين ، و يدعو الشرطة للظهور و يلقى القبض على ثمانية عشر هرطوقيا ..." [70].

فبعدما كان مكان للعبادة و الصلاة أصبح فضاء يمارس فيه السياسة .

- الحانة :

تعد الحانة فضاءا مشابها لفضاء المقهى ، إلا أن حضور الخمرة فيه كعنصر من مكوناته الأساسية ، جعله يحمل دلالات لا يقوم بها فضاء المقهى ن بالإضافة إلى اختلاف الشخصية

التي تتردد على كلا المكانين فهي شخصيات مضطهدة أو راقية و غنية ، هذا كما أظهرتها الرواية ، إذ نجد أن الحانة ورد ذكرها في مقاطع سردية مختلفة ، بعضها يرتبط بعمر الخيام ، و بعضهم الآخر بالسكان ، فإذا كان هذا الفضاء يمثل بالنسبة لسكان سمرقند مكان يلبى احتياجاتهم الضرورية " المأوى " ، فإنه يعد بالنسبة لعمر الخيام وسيلة المرح و المتعة " **و في سوق البزازين تجري لعبة نرد حامية الوطيس على ضوء سراج داخل دكان** " .[71]

وعلى هذا تختلف دلالة فضاء الحانة باختلاف الوضع الاجتماعي ، فلها وظيفة اجتماعية هو " الإيواء " و دلالة سلبية تتنافى و المجتمع الإسلامي " الخمر " الذي يعتبر من المحرمات "كان على يمنيه باب حانة موارب فدفعه و هبط بضع درجات ... و طلب نبيذا صرفا من خمر " قم " فأتى به في إبريق مثلم ، و احتساء طويلا مغمض العينين .

" **انقضى عهد الصبا الميمون**

"**ولكي أنسى اسكب الخمر**

" **طعمها مر ؟ هكذا يعجبني**

" **هذه المرارة هي طعم حياتي** " .[72]

---

[70] - المصدر نفسه ، ص 124 .

[71] - أمين معلوف ، سمرقند ، ص 13 .

[72] - المصدر نفسه ، ص 94.

3 - وظائف الأمكنة في الرواية :

1- ألموت :

هذا المكان له عدة دلالات أولها دلالة سياسية ، حيث تعرضت للاستيلاء و الاحتلال من طرف الصوفي حسني بن علي الصباح " في 6 أيلول (سبتمبر) 1090 ،" **إن حسن الصباح ، مؤسس فرقة الحشاشين العبقري ، على أهبة الاستيلاء على القلعة التي سوف تكون خلال مئة و ستة و ستين عاما مقرا لأخطر طائفة عرفها التاريخ ، و الحق أنه أمامنا مترمربعا قبالة الحاكم و هو يردد على مسمعيه من غير أن يرفع صوته : جئت أستولي على ألموت** " [73]

أثار نبأ الاستيلاء على ألموت قليلا من الاضطراب في أصفهان ، فالمدينة أكثر انشغالا بالصراع الذي كان قد اشتد أواره بين نظام الملك و القصر .

كما أن لها دلالة تاريخية " **لا يخلو من فائدة لمن لم تسنح له الفرصة قط لزيارة أطلال ألموت للتأكيد بأن ذلك الموقع ما كان ليكتسب الأهمية التي اكتسبها في التاريخ لو أن ميزته الوحيدة كانت وعورة للوصول إليه و لو لم تكن شعفة الجبل الصخرية هضبة تتسع لاحتواء مدنية أو على الأقل لاحتواء قرية كبيرة ، ففي زمن "الحشاشين " كان يبلغ** إليه عبر نفق ضيق في جهة **الشرق يفضي إلى القلعة الواطئة و الأزقة المتداخلة و بيوت اللبن الصغيرة في حمى الأسوار ... و كان شكل هذه شكل قنينة نائمة عريضة في الشرق و عنقها ممدود نحو الغرب...**" [74]

---

[73] - أمين معلوف ، سمرقند ، ص 135 .

[74] - المصدر نفسه ، ص 171 .

بالإضافة إلى الدلالة الدينية التي تتمثل في العدل و القصاص " **كانت عدالة ألموت تنشط لأقل سبب ، فإنه يحكى أن جريمة أرتكبت يوما في حرم القلعة ، و اتهم أحد الشهود ابن**

حسن الثاني ، و من غير أن يسعى هذا إلى التحقق من الأمور حز رأس آخر أولاده الذكور ، و ما هي إلا أيام حتى اعترف المذنب الحقيقي فقطع عنقه هو الأخر ، و يذكر المترجمون للقيم الأعظم ذبحه أبناءه لتصوير صرامته و عدم تحيزه ، و يؤكدون أن جماعة ألموت أصبحوا بفضل هذه العقوبات الملأى بالعبر معقلا للفضيلة و حسن الخلق ، الأمر الذي يسهل تصديقه ، و قد علم مع ذلك من مصادر شتى أن زوجة حسن الوحيدة و بناته ثرن على تسلطه غداة أحكام الإعدام تلك ، و أنه أمر بطردهن من ألموت و أوصى خلفه أن يفعلوا فعله في المستقبل ليحاشوا أن تفسد تأثيرات النساء حكمهم السوي " .[75]

2- **المسجد** :

يلعب المسجد دورا مهما في تقريب الصور إلى القارئ و يعطي ثقافة سكانه و معتقداته مما يساعد القارئ على معرفة الشخصيات التي يتعامل معها .

إن للمسجد في هذه الرواية دلالتين ، دلالة سياسية و دلالة دينية ، فالأولى تتمثل في كونه أصبح مكان يلجا إليه المسلحين المعارضين للاختباء فيه بعدما كان فضاء للعبادة و التضرع و الصلاة و التقرب إلى الله كما يعتبر رمز للنقاء و الصفاء و طهارة النفوس و القلوب كما له أيضا دلالة اجتماعية ، فالمسجد يلجأ اليه كل محتاج " المأوى " .

3- **قاشان** :

نلمس في الرواية دلالة عقائدية تعبر عن اعتقاد سكان قاشان بالأفكار الخرافية المتمثلة خاصة في ممارسة بعض العقائد والتقاليد و العادات الغريبة التي تتنافى و الدين الإسلامي حيث كل من حمل اسم " عمر " فسيعاقب و يظهر ذلك من خلال الحوار الذي دار بين عمر

---

[75] - أمين معلوف ، سمرقند ، ص 172 .

الخيام و حسن الصباح " ... عندما يدعى المرء " عمر " فمن التهور أن يرتاد ناحية قاشان . و تظاهر عمر الخيام بالدهشة التامة ، مع أنه قد فهم جيدا معنى التلميح ، فاسمه

اسم خليفة النبي الثاني الخليفة عمر المكروه من الشيعة لأنه كان منافسا عنيدا لعلي مؤسس طائفتهم ، وإذا كانت أغلبية فارس في هذا الوقت من السنة فقد بقي المذهب الشيعي متمثلا في بعض المدن و لا سيما " قم " و قاشان حيث ما تزال تقوم بعض التقاليد الغريبة ،" **ففي كل عام يحتفل بمقتل الخليفة عمر في مهرجان هزلي ، و تتبرج النساء بهذه المناسبة ،** و **يحضرن الحلويات و الفستق المحمص ، و يجلس الأولاد على الشرفات ،و يصبون الماء مدرارا على المارة و هم يصيحون بحبور " لعن الله عمر " و يضعون تمثالا على هيئة الخليفة و في يده سبحة من روث مسلوك و يجولون به في الأحياء منشدين " ما دام اسمك عمر فمأواك جهنم يا رأس الفاسقين ، يا أيها الغاصب اللئيم " ، و قد درج اسكافيو " قم " و قاشان على كتابة " عمر " على النعال التي يصنعونها وينحل البغالون اسمه بهائمهم متلذذين بلفظه عند كل انهيال بعصيهم على جسومها ، و حين لا يبقى مع الصيادين سوى سهم واحد فإنهم يستلونه مغمغمين " هذا لقلب عمر** " . [76]

هاتين المدينتين " قاشان " و" قم " متمردتين على الدين الإسلامي ، فسكانهما لا يؤمنون بوجود الله و لا النبي (ص) و لا بالخلفاء لا سيما عمر رضي الله عنه فقد كانوا يقومون بأعمال شنيعة ضده و ضد كل من كان " اسمه عمر " .

4 - **الغرفة** :

كغيرها من الأمكنة الواردة في الرواية ، يحمل البيت دلالات مختلفة ، يحاول من خلالها الكاتب التعبير عن خصائص مجتمعه و مميزاته .

فللغرفة وظيفة اجتاعية نفسية ، فهو مكان الأنس و الراحة ، حيث استراح عمر الخيام هو وزوجته جهان " **كانت جهان قد وصلت على غير انتظار و أبكر من المعتاد ، فقد**

[76] أمين معلوف ، سمرقند ، ص 82 .

انزلقت من الباب الجوار ، و نزعت عنها خمارها من غير جلبة ، و ها هي ذي تتقدم من الخلف على رؤوس أصابعها و ظل عمر مستغرقا فأحاطت عنقه بغتة بذراعيها العاريتين و ألصقت وجهها بوجهه و تركت شعرها ، المعطر يسدل على عينيه ... و جن جنون أيديهما و تبعثرت خلالهما ، فلا مثيل لليلة غرام ألهبت فيها الجسدين و اندلع اللهب فغمرهما و دحرجهما و أسكرهما و أشعلهما و صدرهما جلدا إلى جلد حتى نهاية اللذة ...".[77]

[77] - أمين معلوف ، سمرقند ، ص 74 .

الخاتمة

من خلال دراستنا للهندسة المكانية في رواية سمرقند ، توصلنا إلى جملة من النتائج نلخصها فيما يلي :

– يعتبر المكان أحد المكونات السردية التي تقوم عليها الرواية ، اهتم بدراسة مجموعة من النقاد أهمهم فلاديمير بروب و جيرارجنيت ، غريماس و كذلك مجموعة من الأدباء منهم غاستون باشلار حنان محمد موسى حمودة ، حميد لحمداني ... الخ فقد اعتمد كل واحد منهم على تقسيم خاص به حسب زاوية نظره إلى المكان .

– يختلف المكان الواقعي عن المكان الفني ، فهذا الأخير يتميز بجمالية فنية يضفيها عليه الكاتب بمجموعة من التقسيمات يكسبه بواسطتها أبعاد دلالية ذات وظائف متعددة.

– خلال دراستنا للرواية لاحظنا أن الأمكنة ، تتراوح بين الانغلاق الكلي و الانغلاق الجزئي تتمثل الانغلاق الكلي في المسجد باعتباره مكان يفصل الشخصية عن العالم الخارجي، و الانغلاق الجزئي في ألموت و الحجرة أو الغرفة حيث أن العلاقات بين الشخصيات فيه قائمة على التحفظ و قبولها للعناصر التي تأتي من الخارج كان مشروطا و يتم في حدود ضيقة ، أما الانفتاح فقد تميزت به بقية الأماكن من قاشان ، ميدان الصرافين ، الديوان ، المدنية ، الشارع ، المسجد لاحتضانها معظم العلاقات الاجتماعية و كونها مسرحا لمختلف الأحداث المهمة في الرواية .

– هناك علاقة وثيقة بين الشخصيات و المكان إلى درجة أن المكان يعتبر بمثابة المرآة العاكسة لثقافة الشخصيات .

– تمثل سمرقند العنصر المشترك الذي يربط بين مختلف أمكنة الرواية ، فهي حاضرة في كل مكان : الشارع ، الغرفة ، الديوان فهي بمثابة نقطة مشتركة بين شخصيات الرواية .

– إن الكاتب لم يعتمد على تقنية الوصف الدقيق للأمكنة ، هذا ما صعب علينا إبراز هيئة الأمكنة و التعريف بوظائفها و دلالاتها في الرواية .

وفي الأخير نأمل أن نكون قد وفقنا في تحليل الهندسة المكانية لرواية سمرقند و تبقى هذه الرواية لصاحبها أمين معلوف ، قابلية للقراءات و التأويلات كونها منبع خصب للدلالات .

فهرس المصادر و المراجع :

المصادر:

- أمين معلوف سمرقند المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر و الإشهار ، دار الفارابي، بيروت - لبنان - ط1 ، 1997 لبنان ، ط2 ، 2001 ، الجزائر .

المراجع :

1 – إبراهيم السعافين ، تحولات السرد ، دراسات في الرواية العربية ، دار المشرق للنشر و التوزيع ، عمان ، ط 1 ، 1996 .

2 – أحمد طالب ، جماليات المكان في القصة القصيرة الجزائرية ، دار الغرب للنشر و التوزيع ، د ط ، الجزائر ، د س .

3 – باديس فوغالي ، الزمان و المكان في الشعر الجاهلي ، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع ، عمان ، ط 1 ، 2008 .

4 – حميد الحمداني ، بنية النص السردي من منظور النقد الأدب ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط 3 ، 2000 .

5 – حنان محمد موسى حمودة ، الزمكانية و بنية الشعر المعاصر ،د ، ط ، 2006 ، إرب الأردن .

6 – سلمان كاصد ، عالم النص - دراسة بنيوية في الأساليب السردية - ، دار الكندي ، الأردن ، 2003 .

7 – سيزا أحمد قاسم ، بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ ، ط1 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1984 .

8 – شاكر النابلسي ، جماليات المكان في الرواية العربية ، ط1 ، لبنان ، 1994 .

9 – صبيحة عودة زعرب ، غسان كنفاني ، جماليات السرد في الخطاب الروائي ، ط1 دار مجد للنشر و التوزيع ، عمان الأردن ،2000 .

10 – صلاح صالح ، قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر ، ط 1 ، دار شرقيات للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 1998

11 – عبد الحميد بورايو ، منطق السرد دراسات في القصة الجزائرية ديوان المطبوعات الجزائرية 1994 .

12 – عبد العزيز شبيلي الفن الروائي عند غادة السمان . ط1 . دار المعارض . تونس 1987.

13 – عزالدين اسماعيل ، التفسير الفني للأدب ، ط 4 ، دار غريب ، القاهرة1984

14 – غاستون باشلار ، جماليات المكان ،تر: غالب هلسا ، د ط ، المؤسسة الجامعية للدراسات ، بيروت ، د س .

15 – فتيحة كحلوش بلاغة المكان قراءة في مكانية النص الشعري ، بيروت ، لبنان ، ط1،2008

16 – لينة عوض ، تجربة الطاهر وطار الروائية بين الإيديولوجية و جمالية الرواية ، نقلا عن فان ليوفن رتشارد المدنية النمطية ، 2004

17 – منيب محمد البوريمي ، الفضاء الروائي ، الإطار، دار النشر المغربية 1985 .

18 – ياسين النصير ، الرواية و المكان ، وزارة الثقافة و الإعلام ، بغداد ، 1986

19 – يوسف نجم ، فن القصة ، دار الثقافة ، بيروت ، ط 5 ، 1996 .

المعاجم :

20 – أبو الفصل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور ، لسان العرب ، ج 6 ، دار صادر للطباعة والنشر ، ط 1 ، بيروت ، .1997 .

21 - الخليل بن أحمد الفراهيدي ، العين ، تر : عبد الحميد هنداوي ، مج 4 ،دار الكتب العلمية، ط1 ، لبنان ، 2003 .

22 – محمد بن أحمد الأزهري ، ج 10 ،تر : حسن هلالي ، مصر الجديدة ، دط ، مكتبة الخايجي ، د س .

خطة البحث

مقدمة .

تمهيد : التعريف بالروائي و الرواية .

أ – تعريف الروائي .

ب- تعريف الرواية .

الفصل الأول : المكان الروائي .

1- مفهوم المكان الروائي .

2- التأصيل الجمال لأنواع الأمكنة الروائية .

3- أبعاد المكان و دلالته الروائية .

الفصل الثاني : وظائف الأمكنة و أبعادها الدلالية .

1- فضاء الرواية .

2- الأماكن المنغلق .

3- الأماكن المنفتحة .

خاتمة .

قائمة المصادر و المراجع .